

الكشاف

أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازورا وغيرهما قالوا لرسول الله ﷺ : إن كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى . فنزلت . وقيل : كتابا إلى فلان وكتابا إلى فلان أنك رسول الله ﷺ وقيل : كتابا نعاينه حين ينزل . وإنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن : ولو سألوهم لكي يتبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية " فقد سألو موسى " جواب لشرط مقدر . معناه : إن استكبرت ما سألوهم منك فقد سألو موسى . " أكبر من ذلك " وإنما أسند السؤال إليهم وإن وجد من آبائهم في أيام موسى وهم النقباء السبعون لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت " جهرة " عيانا بمعنى أرنا نره جهرة " بظلمهم " بسبب سؤالهم الرؤية . ولو طلبوا أمرا جائزا لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل إبراهيم عليه السلام أن يريه إحياء الموتى فلم يسمعه طالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق " وآتينا موسى سلطانا مبينا " تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم حتى يتاب عليهم فأطاعوه واحتبوا بأفئدتهم والسيوف تتساقط عليهم فيالك من سلطان مبین " بميثاقهم " بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه " وقلنا لهم " والطور مظل عليهم " ادخلوا الباب سجدا " ولا تعدوا في السبت وقد أخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا وأطعنا ومعاهدتهم على أن يتموا عليه ثم نقضوه بعد . وقرئ : لا تعتدوا . ولا تعدوا بإدغم التاء في الدال " فيما نقضهم " فبنقضهم . و ما مزیة للتوكید . فإن قلت : بم تعلقت الباء ؟ وما معنى التوكید ؟ قلت : إما أن يتعلق بمحذوف كأنه قيل : فيما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا وإما أن يتعلق بقوله : حرما عليهم " على أن قوله : " فيظلم من الذين هادوا " النساء : 160 ، بدل من قوله : " فيما نقضهم ميثاقهم " وأما التوكید فمعناه تحقيق أن العقاب أو تحریم الطیبات لم یكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك . فإن قلت : هلا زعمت أن المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله : " بل طبع الله عليها " فيكون التقدير : فيما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم . قلت : لم يصح هذا التقدير لأن قوله : " بل طبع الله عليها بكفرهم " رد وإنكار لقولهم : " قلوبنا غلف " فكان متعلقا به وذلك أنهم أرادوا بقولهم : قلوبنا غلف أن الله خلق قلوبنا غلفا أي في أكنة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا : " لو شاء الرحمن ما عبدناهم " الزخرف : 20 ، وكمذهب المجبرة أخراهم الله فقليل لهم : بل خذلها الله ومنعها الألفاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا أن تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من

قبوله . فإن قلت : علام عطف قوله : " وبكفرهم " ؟ قلت : الوجه أن يعطف على فيما نقضهم
ويجعل قوله : " بل طبع ا " عليها بكفرهم " كلما تبع قوله : " وقالوا قلوبنا غلف " على
وجه الاستطراد يجوز عطفه على ما يليه من قوله : بكفرهم